بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه.

قال الله تقدست أسماؤه: "فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ". هود: 112-113.

هذه الآية -أيها الأفاضل- من أعظم ما جاء في القرآن في الحض على دوام الاستقامة، والثبات على الأمر، والعزيمة على الرشد، والوفاء بالعهد والميثاق.

وقد جمع قوله تعالى: "فاستقم كما أمرت" أصول الصلاح كله، ولذلك قال ابن عباس: "ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي أشد ولا أشق من هذه الآية عليه" ولذلك لما قالوا له: لقد أسرع إليك الشيب يا رسول الله؟ قال: شيبتني هود وأخواتها – وأشد ما في سورة هود كما سمعتم "فاستقم كما أمرت" ثم قال: "ولا تطغوا" وهذا خطاب للمؤمنين المشار إليهم بقوله: "ومن تاب معك" والطغيان هو مجاوزة الحد، وأصله الجسارة والجراءة وقلة المبالاة، والمراد هنا: الجسارة على حدود الله، ومخالفة الأمر.

ثم قال: "ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار" الركون هو الميل والموافقة، فبعد أن نهاهم عن الطغيان حذرهم من سببه وهو الميل والركون إلى الذين ظلموا ليلا يضلوهم عن سبيل الاستقامة. ولذلكم قال الحسن البصري: "جعل الله الدين بين لاءين: ولا تطغوا... ولا تركنوا" ومن آثار الركون عدوى انتقال القيم بفساد المخالطة والرفقة السيئة.

فالآية بحق أصل في سد الذريعة من جميع أنواع الفساد الفردي والاجتماعي مما ينقض حقيقة الاستقامة ويطيح بخصالها. والمطلوب من المرء الاستقامة على قدر طاقته، وطلب السداد في جميع خطواته وأحواله، فإن لم يقدر عليهما فالمقاربة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "سددوا وقاربوا، واعلموا لن ينجو أحد منكم بعمله، قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته".

وفي الدعاء النبوي المأثور: "اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت" نفعني الله وإياكم بكتابه المبين، وبحديث رسوله الكريم، وغفر لي ولكم ولجميع المسلمين آمين، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

اللهم لك الحمد بما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وعافيتنا، لك الحمد بالإيمان ولك الحمد بالإسلام ولك الحمد بالقرآن، وصل اللهم وسلم على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

وبعد: قال الله سبحانه: "وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ". النحل: 92.

هذه الآية جاءت بعد قوله تعالى: "وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ". النحل: 91.

هذا هو البلاء المبين، لا تنقضوا الميثاق الذي بينكم وبين الله، ولا تنقضوا الميثاق فيما بينكم وبين الناس استنادا إلى القوة واعتزازا بها (أن تكون أمة هي أربى من أمة) ولا تتخذوا عهودكم تبعا لأهوائكم متى شئتم وفيتم بها، ومتى شئتم نقضتموها، فإنكم إن فعلتم ذلك تزل أقدامكم بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ". النحل: 94 – 95.

فها أنت ترى كيف رتبت الآية على نقض العهد واتخاذ الأيمان دخلا انقلاب حال الإنسان من الخير إلى الشر، ومن الثبات إلى الزلل، ومن الصلاح إلى الفساد.

كم من سراج قد أطفأته الريح، وكم من عبادة قد أفسدها العجب، وكم من سالك قد أبطأ به السير أو توقف في منتصف الطريق... وفي الأثر أن إبليس إذا ظفر من ابن

آدم بإحدى ثلاث فرح وقال لا أطلب غيرها: إعجابه بنفسه، واستكثاره عمله، ونسيانه ذنوبه وبوائقه" (كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك؟).

الاستقامة –أيها الإخوة– هي لزوم الطريق والثبات في الأمر حتى تصل إلى الله – والوصول إلى الله نوعان:

1- وصول في الدنيا والمراد به أن تعرفه حق معرفته، وأن تقدره حق قدره؛ لأن وصولك إلى الله وصولك إلى العلم به، وإلا فجلّ ربنا أن يتصل به شيء أو يتصل هو بشيء.

2- وصول في الآخرة، وهو الدخول إلى جنته التي هي دار كرامة أوليائه، ولكنهم في درجاتها ومنازلها متفاوتون بحسب تفاوت قلوبهم وأعمالهم في الدنيا " وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ المُقَرَّبُونَ". الواقعة: 7–11.

خصوصية المقربين أنهم حفظوا العهد، واستقاموا على الطريق ولم يحيدوا عنه قيد أنملة، فلذلك يلاقون بالترحيب الأوفى "۞لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ". يونس: 26.

وفي الحديث: إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه، فيقولون ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا، ويثقل موازيننا، ويدخلنا الجنة، ويجرنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فينظرون، فما أعطاهم شيئا أحب من النظر إليه وهو الزيادة، ثم تلا: "۞لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ" الآية.